خطبة : الثبات والمعينات عليه

الخطيب : يحيى العقيلي

معاشر المؤمنين

آيةٌ في القرآن وقف عندها أحد الصالحين وتدبّرها بقلبٍ واعٍ ، فإذا هي موعظةٌ بليغةٌ تبعث الرهبةَ والهيبة في النفوس المؤمنه

قال تعالى : " وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ " (94 النحل) ،،

قال ابن كثير في الآية" : مثلُ لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزلّ عن طريق الهدى ، بسبب الأَيْمانِ الحانثةِ المشتملة على الصدّ عن سبيل الله "

وتأمّلوا عباد الله الآية ، فالله جل وعلا لم يقل : بعد تذبذبها او ترددها او ذنوبها ؛ بل قال : بعد ثبوتها

فالحياة فتنٌ متتابعة ، والموفق من نجّاه الله تعالى وعصمه بالعلم والتقوى ، وكما قال صلى الله عليه وسلم " ((إن الدنيا حلوةٌ خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقّوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أولَ فتنةَ بني إسرائيل كانت في النساء))(

والثباتُ أمام فتنِ الدنيا ومغرياتِها يشكّلُ تحدّيا أمام المؤمن ، الذي يرنو ليكون في الدرجات العلا من الجنة ، لذلك كان الثباتُ هو اكثرَ مايدعو به صلى الله عليه وسلم ،

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال:  « كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يُكثِرُ أن يقولَ: يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ فقلتُ: يا نبيَّ اللَّهِ آمنَّا بِكَ وبما جئتَ بِهِ فَهل تخافُ علَينا ؟ قالَ: نعَم إنَّ القلوبَ بينَ إصبَعَينِ من أصابعِ اللَّهِ يقلِّبُها كيفَ شاءَ»  (الترمذي:2140

معاشر المؤمنين

لقد ضرب لنا القرآنُ الكريمُ مثلا لمن تردّى بعد إيمانٍ وعلم ، ومثلا آخر لمن ثَبُت بعد أن كاد صاحبُه أن يغويه

فقال جلّ وعلا عن الأول "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175)وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)

هو بلعام من بني إسرائيل ، عاش زمن موسى عليه السلام ، وقد آتاه اللهُ العلم ، وقيل كان مجابَ الدعوةِ لأنه علِم أسمَ الله الأعظم، أغراه قومُه أن يدعو على موسى عليه السلام فتردّد لأنه يعلم عاقبة ذلك ، ثم قبِلَ بعد أن أغروه ، فسقط وهوى أمام زخرف الدنيا وفتنتها ، فكان تشبيهه هذا بأقبح صورة وأرذل حال،

وضرب الله لنا مثالا لمن حفظه الله وثبّته بعد أن كاد صاحبُه أن يغويه ، فتذكّر نعمة الله عليه بالثبات وهو في الجنة يتنّعم مع أصحابه الصالحين بشرابها ونعيمها وحورها " فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50)قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51)يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52)

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ(53(

قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (54)فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55)قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (56)وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58)إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (59)إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)

إعلم ياعبدالله إن الله تعالى حين اختارك لطريق هدايته ، أنّها رحمةٌ منه وفضل ،

قال تعالى ( ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ) فاحمدالله دوما فإنها نعمةٌ تُستدام بالشكر ولئن شكرتم لأزيدنّكم .

معاشر المؤمنين

اليكم خمسُ مثبّتات تعين المسلم على الثبات

أولها مصاحبةُ القرآن الكريم تلاوةً وتدبرا وحفظا وتربية ، قال تعالى (كذلك لنثبّت به فؤادك ورتلّناه ترتيلا ) ، فكتاب الله خير ُمعين على تثبيت الإيمان في قلب المؤمن .

ومن المعينات على الثبات النظرُ في السيرة النبوية وقَصَصِ الأنبياء ، كما أخبر جلّ وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (120هود)

 ففي قَصَص الأنبياء العبرةُ والعظةُ ، وبيان سنّةِ الله مع أنبيائه وأقوامهم مما يزيد اليقين ويثّبّتُ الفؤاد ،

ومن المعين على الثبات العملُ بالعلم ، فالعلمُ النافع هو ماأتبعه المرءُ بالعمل،

 قال تعالى "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) ، وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (68)( النساء)

ومن المثبّتات عباد الله الصدقةُ ، فهي كما وصفها صلى الله عليه وسلم "الصدقة برهان"

 أي برهانٌ ودليلٌ على الإيمان ، قال تعالى " وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265 البقرة )

قال الشَعبي : وتصديقا من أنفسهم ثباتٌ ونصرة ،

وكما قال ابن رواحة رضي الله عنه :

فَثَبَّـتَ اللـهُ مَـا آتَـاكَ مِـنْ حَسَـنٍٍ

تَثْبِيـتَ مُوسَـى, وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا

ثبّتنا الله تعالى على طاعته ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

معاشر المؤمنين

 من أقوى المعينات على الثبات الدعاء ، كما قال تعالى عن أنصار أنبيائه ورسله " وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)

(ال عمران ) وكان مما علّمنا صلى الله عليه وسلم ذاك الدعاء الذي كان دوما يدعو به (يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي علي طاعتك) .

ومن أراد العونَ على ثبات الإيمان في قلبه فليلزم الرفقةَ الصالحة التي تذّكرُه إذا غفل وتعلمه إذا جهل وتنصحه إذا أخطأ ، قال تعالى " وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28 الكهف )